المحاضرة الثامنة:

حقوق الإنسان في القرآن الكريم :

لقد كرم الله Y الانسان في القرآن الكريم عندما أمر الملائكة بالسجود للمخلوق الذي خلقه بيده ، وليس هناك تكريم أرفع من سجود الملائكة ، فقد قال تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْلآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى واَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ))[1]، لكن إبليس إمتنع من السجود لآدم ، عن أبي عبد الله الصادق υ عندما سُئِل عمّا ندب الله الخلق اليه أدخل فيه الضلالة ؟ قال υ نعم والكافرون دخلوا فيه ، لان الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة وإبليس ، فإن إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله وكانت الملائكة تظن انه منهم ولم يكن منهم ، فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم υ أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد فعلم الملائكة عند ذلك إن إبليس لم يكن مثلهم فقيل للصادق υ فكيف وقع الأمر على إبليس عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ؟ فقال υ كان إبليس منهم بالولاء (يعني كان يحب الملائكة) ولم يكن من جنس الملائكة وذلك ان الله خلق خلقا قبل آدم وكان إبليس حاكما في الأرض فعثوا وأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس ورفعوه الى السماء وكان مع الملائكة يعبد الله الى أن خلق الله تعالى آدم υ[2] . فبسجود الملائكة لآدم ثبت سمو الأنسان على سائر المخلوقات وتأكدت كرامته ، قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضلْنَاهُمْ عَلى كَثِيرٍ مَّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً))[3] ، وان أول نِعَمْ الله علينا هي نعمة الحياة ثم إنعامه علينا ان خلق الارض وما فيها وخلق السماء ، وجعل أبينا آدم υ خليفة في الارض قال تعالى: ((وإذْ قالَ ربُكَ للملائِكةِ إني جاعِلُ في الأَرضِ

---

(1) سورة البقرة ، آية (34) .

(2) القمي ، تفسير القمي ، 35/1 .

(3) سورة الإسراء ، آية (70) .

خَليفةً قالُوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها و يَسْفِكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ و نُقَدِسُ لكَ قالَ إنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ))[4] ، بعد تكريم الانسان بالاستخلاف فقد منّ الله على البشرية بأن أرسل النبي محمد ρ رحمة ونعمة لهذه الأمة لا نقمة وعذابا اذ قال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))[5] ، وهذا يعني انه ليس مقتضى الرحمة للعالمين ان يهمل مصلحة الدين ، ويسكت عن مظالم الظالمين وان بلغ ما بلغ وأدّى الى شقاء الصالحين واختلال نظام الدنيا والدين[6] . وقد حكى الله Y عن نفسه بقوله: ((قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْء))[7] ولم يمنع ذلك من حلول غضبه على من حل به من الأمم السابقة والقرون الخالية ، كما ذكره في كلامه . على أنه سبحانه وتعالى سمى ما وقع على كفار قريش من القتل والهلاك في معركة بدر (2هـ/623م) وغيره من العذاب ، ولم يناف ذلك قوله Y : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ))[8] ، وهدد هذه الأمة بعذاب واقع قطعي في سُوَر يونس والإسراء والأنبياء والقصص والروم وغيرها ، ولم يناف ذلك ρ انه رحمة للعالمين فما بال نزول العذاب على شرذمة تفوهت بهذه الكلمة (اللهم إن كان هذا هو الحق) الخ ، ينافي قول النبي ρ انه نبي الرحمة مع ان من مقتضى الرحمة ان يوفى كل ذي حق حقه[9] .

دور النبي محمد ρ في ترسيخ حقوق الإنسان :

لقد كرّم محمد بن عبد اللهρ الإنسانية كلّها ، فقد الغى الاضطهاد العنصري إلغاءً عمليا حين اختار عبدا زنجيا لأقدس مهمة بعد ان جعله مؤذنا له ينادي المؤمنين

---

(4) سورة البقرة ، الاية (30) .

(5) سورة الأنبياء ، آية (107) .

(6) الطباطبائي ، تفسير الميزان ، 69/9 .

(7) سورة الاعراف ، آية (156) .

8() سورة الحج ، آية (107) .

(9) الطباطبائي ، تفسير الميزان ، 69/9 .

للصلوات في أوقاتها الخمسة وكان ذلك العبد الزنجي هو بلال الحبشي ، الذي كان عبدا من عبيد قريش فلم تكد تبلغه الدعوة الأسلامية حتى كان أول الملبين لها ، وتعلم به قريش ويعلم به سيده أمية فينصحونه بالعدول عن الطريق الذي مشى فيه فلا يقبل النصيحة ، ويستمر مسلما مخلصا فيأخذون في تعذيبه العذاب الأليم ، حتى أعتقه الرسول ρ وعده ابن شهراشوب من موالي النبي ρ[10] ، كان ذلك العذاب الذي طاله بسبب إسلامه قد زاد في إيمانه ثم فر بنفسه الى المدينة المنورة مع من هاجر اليها وهناك صار مؤذن الرسول ρ[11] . وقد أنف زعماء قريش من أن يجلسوا الى الرسول الكريم ρ مع العبيد أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومي وعمار بن ياسر ، وطلبوا منه أن يخصص لهم يوماً وللعبيد يوماً أو يطرد العبيد يوما من مجالسه ، لكن الرسول ρ أبى ذلك خصوصا بعد ان نزل عليه التوجيه الإلهي من السماء بألاّ يفعل ويلبي طلبهم حيث قال تعالى: ((وَلاَ تَطْرُد الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ))[12]وقال تعالى ايضا: ((وَكَذَّلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ))[13]، وقال تعالى: ((وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[14].

جعل الاسلام لأولاد السيد من أَمَتِهِ حقوقاً ومكانةً مثل إخوتهم من أمهات الحرائر ، بغير تفريق وتمييز ما ، وكان المعروف في الأمم القديمة التقليل من شأن الأبناء الذين تلدهم الإماء لسادتهن ، فقد كان العرب قبل الاسلام لا يلحقون أبناءهم من

---

(10) العاملي ، الصحيح من سيرة النبي الاعظم ρ ، 90/3

(11) الأمين ، مستدركات أعيان ، 28/1 .

(12) سورة الأنعام ، آية (52) .

(13) سورة الانعام ، آية (53) .

(14) سورة الانعام ، أية (54) .

الإماء بنسبهم ، فلا يَرِثون إلاّ إذا إدّعوهم وأشهدوا على انهم ألصقوا بهم نسبهم ، فإن لم يلحق الرجل إبنه بنسبه استعبده واذا فُقِدَ أو مات كان أبناء الإماء عبيداً في نظر العرب والرومان واليهود وغيرهم من الامم التي عاصرتهم[15] . يقول العلامة (فرانزبواس) احد العلماء المختصين بدراسة السلالات البشرية : ((لو تخيرنا أذكى جماعة من البشر وأوسعهم خيالا ، وأعلاهم قدرة ، وأرزنهم عاطفة لوجدنا جميع السلالات البشرية ممثلة فيهم))[16] ، لقد صدق رسول الله ρ في قوله حينما خاطب المسلمين : ((يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألالا فضل لعربي على عجمي ، ولا عجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوى))[17] . ان المعيار الذي اتبعه الاسلام مبني على اساس التقوى ولا يميز بين المسلمين الا على اساس ذلك ، أي انه لاينظر الى احساب وانساب المسلمين .

---

(15) القبانجي ، شرح رسالة الحقوق ، 455 ، 456 .

(16) القبانجي ، المرجع نفسه ، 457 .

(17) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، 342/16 .